وصف الناقة «قصيدة البردة للشاعر كعب بن زهير» (دراسة نقدية تحليلية)

د. فاطمة أحمد السيد ضحا
أستاذ الأدب والنقد المساعد - قسم اللغة العربية وآدابها
كلية اللغات والعلوم الإنسانية - جامعة القصيم -المملكة العربية السعودية

د. غادة محمد أحمد أحمد نصر
أستاذ الأدب والنقد المساعد - قسم اللغة العربية وآدابها - كلية اللغات والعلوم الإنسانية - جامعة القصيم - المملكة العربية السعودية

مستخلص:

هذه الدراسة عن «وصف الناقة قصيدة البردة للشاعر كعب بن زهير دراسة نقدية تحليلية «تهدف الدراسة إلى استكشاف جماليات شعر» كعب بن زهير» في قصيدة البردة، وفهم العلاقة بين الوصف والموضوع الأساسي للقصيدة، ودوره في تمهيد الانتقال إلى المدح، مع دراسة نقدية وتحليلية للوصف في القصيدة، وقد تم اختيار الموضوع لعدة أسباب هي: أهمية الناقة في الشعر العربي وإبراز الجمال الفني في شعر كعب ابن زهير، والعلاقة بين الوصف والموضوع الأساسي لقصيدة البردة. واتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، معتمدةً في مادتها على المصادر التي تناولت العصر الإسلامي والجاهلي، إضافة إلى المصادر التي اهتمت بدراسة ديوان كعب بن زهير وخاصة قصيدة «البردة «، وخلصت الدراسة إلى عدد من النتائج منها: تعكس الناقة التحول الذي عاشه الشاعر، وأن الناقة في القصيدة لا تمثل مجرد وسيلة نقل فقط، بل ترمز إلى الصبر والتحمل والمشقة التي عانى منها الشاعر بعد تخوفه من العقاب، والناقة هي الوسيلة وجزء أساس في القصيدة فوصفها ببيئة صحراوية وبرجل تشبع بالعصبية الجاهلية ويظهر الوصف مدى تأثر كعب ببيئته الصحراوية، حيث كانت الناقة عنصرًا محوريًا في حياة العرب، مما جعله يصفها بدقة متناهية. وأثبت البحث أن وصف الناقة في "البردة" ليس مجرد عنصر زخرفي فقط، بل مكون أساسي في نسيج القصيدة، يعكس حالة الشاعر النفسية، ويؤدي دورًا تمهيديًا مهماً في توجيه المتلقي نحو المعاني الأعمق للقصيدة. ونجح كعب بن زهير من خلال لغة أصيلة أن ينفذ إلى معاني دقيقة وايحاءات ورموز تمنح المهتم بالشعر وجودته للبحث أكثر والتمتع بهذه الصور الجمالية، كما أظهر البحث أن كعب بن زهير استخدم مهارات بلاغية متقدمة في تصوير الناقة، مما جعله واحدًا من أبرز شعراء عصره.

الكلمات الافتتاحية: البناء الفني - الصور البلاغية –جماليات – الرمز-الوصف

Description of the camel" The Burda poem by Ka'b ibn Zuhair" (Critical and analytical study)

Dr.Fatma Ahmed Elsayed doha
Dr: Ghada Mohamed Ahmed Ahmed Nasr

Abstract:

This study is about"description of the camel in the poem Al-Burda by Kaab ibn Zuhair critical and analytical study "The study aims to explore the beautiful aspect of " Ka'b ibn Zuhair's "poetry in the poem Al-Burda,and understanding the relationship between description and the main theme of the poem,and its role in paving the way for the transition to praise,with a critical and analytical study of the description in the poem,The topic was chosen for several reasons:the importance of the camel in Arabic poetry and highlighting the artistic beauty in Ka'b ibn Zuhair's poetry,and the relationship between description and the main theme of the poem Al-Burda.The study followed the descriptive analytical approach,Its material is based on sources that dealt with the Islamic and pre-Islamic eras ,in addition to the sources that were interested in studying the Diwan of Ka'b Ibn Zuhair, especially the poem "Al-Burda",the study concluded with a number of results, including:the camel reflects the transformation that the poet experienced,the camel in the poem does not represent just a means of transportation,rather, it symbolizes the patience, endurance, and hardship that the poet suffered after his fear of punishment,the camel is the vehicle and an essential part of the poek, and it is described in a desert environment and by a man saturated with pre-Islamic fanaticism the description shows how Kaab was affected by its desert environment,the camel was a pivotal element in the lives of Arabs,which made him describe it with extreme precision ,the research proved that the description of the camel in the" Burda" is not just a decorative element.Rather, it is an essential component in the poem ,reflects the poet's psychological state,it plays an important introductory role in directing the recipient towards the deeper meanings of the poem ,Ka'b ibn Zuhair succeeded, through authentic language, in penetrating precise meanings suggestions and symbols give those interested in poetry and its quality the incentive to search further and enjoy these beautiful images,the research also showed that Ka'b ibn Zuhair used advanced rhetorical skills in depicting the camel,which made him one of the most prominent poets of his time.

Key words: Opening words :technical construction , rhetorical images , aesthetics ,symbol , description

المقدمة:

الحمد لله الذي وهبنا نعمة البيان، وأكرمنا بجمال اللغة وفنونها، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد

إن الشعر العربي يمثل مرآة صادقة تعكس حياة العرب وفكرهم وثقافتهم، وقد كانت قصيدة «البردة «لكعب بن زهير إحدى القصائد المهمة في شعره، لما تحمله من تحول في فكر الشاعر ومشاعره، حيث انتقل من الهجاء إلى المدح، وفي مقدمة القصيدة، بدأها بالغزل في محبوبته، وقدم كعب وصفاً دقيقاً لناقته، لتصبح جزءاً من البناء النفسي والفني للقصيدة.

ويرجع سبب اختيار الموضوع للأسباب الآتية:

أولاً: أهمية الناقة في الشعر العربي.

ثانياً: إبراز الجمال الفني في شعر كعب بن زهير.

ثالثاً: العلاقة بين الوصف والموضوع الأساسي للقصيدة.

أهداف البحث:

-1يهدف البحث إلى استكشاف جماليات شعر كعب بن زهير في قصيدة البردة.

2 -فهم العلاقة بين الوصف والموضوع الأساسي للقصيدة.

3 -دورالوصف في تمهيد الانتقال إلى المدح.

4 - دراسة نقدية وتحليلية للوصف في القصيدة.

منهج البحث:

اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال الدراسة النقدية التحليلية لأبيات القصيدة.

وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وكانت على النحو التالي:

المقدمة: تناولت أسباب اختيار الموضوع وأهداف البحث والمنهج وخطة البحث.

التمهيد: ـ كعب بن زهير ومناسبة القصيدة

- التعريف بالقصيدة وأهميتها.

دور الناقة في الشعر الجاهلي وأسباب وصفها.

البناء العام للقصيدة وانتقالاتها.

دراسة نقدية وتحليلية لوصف الناقة في القصيدة.

الوصف والصورة الفنية.

لمحة نقدية عن كعب بن زهير وبناء قصيدته.

تضم الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

المصادر والمراجع

التمهيد :

كعب بن زهير ومناسبة القصيدة :

كعب بن زهير (ت26هـ- 645م):

هو الصحابي كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني ،من أهل نجد ،وأحد فحول الشعراء المخضرمين المقدمين ، ينسب إلى مزينة ،إحدى القبائل المضرية ،ولد كعب في الجاهلية ،وأسلم عندما ضخم أمر النبي ﷺ ،وأخذ الناس يتحدثون بالإسلام ،تتلمذ كعب في الشعر على يد أبيه زهير بن أبي سُلمى وهومن فحول الشعر في الجاهلية ، مثله في ذلك مثل أخيه بجير ومثل الحطيئة،[1] ويذكر لنا الرواة الطريقة التي كان يخرِّج بها زهير تلاميذه من أهل بيته وغيرهم إذ يقولون إنه كان يحفظهم شعره وشعر غيره من الجاهليين حتى تتضح موهبة الشعر فيهم. ويقولون عن كعب إنه كان يخرج به إلى الصحراء فيُلقي عليه بيتاً أو شطراً ويطلب إليه أن يُجيزه تمريناً له وتدريباً على صوغ الشعر ونظمه.

ويبدو أن كعباً اشتهر في الجاهلية بأكثر مما اشتهر الخطيئة،[2] نشأ كعب في روضة وباحة القريض، فرسخت فيه ملكته، وتجلت في صغره شاعريته فأخذ أبوه يقرضه وهو دون المراهقة فلا خير منه فيلزمه بما فيه. فكان كعب يأبى أن ينتهي، ويلح أبوه في منعه حتى امتحنه امتحانا شديدا طمأنه على نضج قريحته، وسلامة طبعه فتركه لنفسه، فتقحم أبوابه، وسلك شعابه، وأتى منه بالجيد الرصين [3]

ويقال إنه لم يتصل الشعر في ولد أحد من الفحول في الجاهلية ما اتصل في ولد زهير «. [4]

ومعروف أن كعباً وبجيراً أخاه والحطيئة أدركوا الإسلام، وكان أسبقهم إلى الدخول فيه بُجير، وقد هجاه كعب حينئذ هجاء آذى رسول الله بمثل قوله : [5]

ألا أبلغا عني بُجيراً رسالةً ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا

شربت مع المأمون كأساً روية ... فأنهلك المأمون منها وعلَّكا

وخالفت أسباب الهدى وتبعته ... أي على ويب غيرك دلكا

على خلق ام تُلف أماً ولا أباً ... عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا

ويقال إن الرسول سمع بهذا الشعر فتوعده، ومازال كعب على وثنيته حتى فُتحت مكة، فكتب إليه «بجير» أن النبي ﷺ قتل كل من آذاه من شعراء المشركين إلا من أعلنوا إسلامهم، ودعاه أن يقدم على رسول الله تائباً.

«وقد كان كعب في شعره الجاهلي مفاخراً، متوعداً مهدداً، حتى إذا أسلم أخذت نفسه تصفو وأخذ يستشعر معاني الإسلام الروحية، وما عاد إليه من الخلق الفاضل، حتى لنراه في الهجاء نفسه يعلن لهاجيه أن يصفح الصفح الجميل، لا من الشتم والسباب، بل من الحكم، ما يحاول به أن يكف أذاه عنه. [6]ويعد كعب بن زهير بن أبي سُلمى من شعراء العربية المرموقين، جعله ابن سلام في شعراء الطبقة الثانية [7].

وقال عنه ابن قتيبة:» وكان كعب فحلاً مجيداً»[8].

وقال السهيلي: «وكعب هذا من فحول الشعراء هو وأبوه زهير، وكذلك ابنه عقبة ابن زهير، يعرف عقبة بالمضرب، وابن عقبة العوام شاعر أيضاً «[9]

مناسبة القصيدة:

لما قدم رسول الله من الطائف كتب» بجير» بن زهير إلى أخيه كعب يخبره أن النبي ﷺ قتل رجلاً ممن كان يهجوه ويؤذيه، وأن من بقي من شعراء قريش قد هربوا في كل وجه ،فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله ﷺ، فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً، وإن لم تفعل فانج إلى نجائك من الأرض (10) ،فقدم كعب المدينة وبدأ بأبي بكر ،فوقع من نفسه «فلما سلَّم النبي ﷺ من صلاة الصبح جاء به وهو متلثم بعمامته ،فقال : يا رسول الله هذا رجل جاء يبايعك على الإسلام ،فبسط النبي ﷺ يده ،فحسر كعب عن وجهه ،وقال هذا مقام العائذ بك يا رسول الله أنا كعب بن زهير .فتجهمته الأنصار وغلَّظت له ،لذكره قبل ذلك قبل ذلك رسول الله ﷺ ،وأحبَّت المهاجرة أن يُسلم ويؤمنه النبي ﷺ ،فأمنه رسول الله «[11]،وأنشده مدحته الخالدة[12]

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يُفد مكبول

فكساه النبي ﷺ بردة اشتراها معاوية من أبنائه بعشرين ألف درهم، وكان يلبسها الخلفاء بعد معاوية في العيدين، وقد اكتسى بها كعب حُلة مجد لا تبلى، ولقبت قصيدته من أجلها «بالبردة « وكان ذلك نقطة تحول في حياة كعب بن زهير، وبداية لحياة جديدة في الإسلام في أواخر السنة السابعة للهجرة، وأصبح شاعراً من شعراء الدعوة الإسلامية ومن الذين دافعوا عن الإسلام. وأصبحت القصيدة من أشهر قصائد المدح في التاريخ الإسلامي، اتخذها كثير من الشعراء نموذجاً، وتعد من أجمل الشعر العربي في الاعتذار والمدح النبوي. والقصيدة تمثل أيضاً لوحة الناقة والممدوح في الشعر العربي، فهي وسيلة الشاعر للوصول إلى الممدوح الذي سيغدق عليه العطاء أو يعفو عنه، أو تكون الناقة نفسها من العطاء الوافر الذي يمنحه الممدوح للشاعر .

التعريف بالقصيدة وأهميتها:

تعد قصيدة «البردة» لكعب بن زهير من عيون الشعر العربي، ومن أشهر القصائد في مدح النبي ﷺ، وسميت» بالبردة» لأن النبي ﷺ أُعجب بالقصيدة فألقى بردته عليه. و«عُرفت أيضاً ب «بانت سعاد» أو «الكعبية « وهي من القصائد التي سار بها الركبان، واهتم بها العلماء، وحاول محاكاتها الشعراء. وكان أهم ما قدَّم هذه القصيدة، وأعلى من شأنها المناسبة التي أُلقيت فيها، وهي إنشاد الشاعر لها بين يدي ّ رسول الله ﷺ، وإصغاء النبي بسمعه الشريف لها وإعجابه بها «. [13]

لقيت القصيدة اهتماماً كبيراً من علماء العربية وشعرائها: شرحاً ومعارضة

ومن أشهر شروح القصيدة: شرح التبريزي، وابن الأنباري وشرح البغدادي، وغيرهم كثير.

وتحمل القصيدة أهمية كبيرة من عدة جوانب:

مكانتها في المدائح النبوية:

حيث تعد من أوائل القصائد التي مدحت النبي ﷺ بعد الإسلام، ونالت قبولاً وإعجاباً خاصاً من النبي، مما أكسبها قيمة دينية ورمزية.

قيمتها الأدبية والفنية:

تتميز القصيدة بجودة السبك وقوة الأسلوب، وتحمل صوراً شعرية غنية، خاصة في وصف الناقة، الذي يعكس مهارة الشاعر وقدرته على التصوير.

دورها في تحول الشعري بعد الإسلام:

تمثل نقطة الانتقال من الشعر الجاهلي المعارض للإسلام، إلى شعر المدح النبوي.

لهذه الأسباب، تظل قصيدة البردة أهم القصائد في تاريخ الأدب العربي، سواء من الناحية الأدبية أو الدينية.

و أبيات قصيدة كعب بن زهير تبلغ ستة وستين بيتاً بدأت بالغزل وذكر المحبوب وما أصاب قلبه لفراقها، ثم وصفها وذكر محاسنها، ثم أشار إلى العلاقة بينه وبينها ، ثم انتقل إلى وصف الناقة على عادة العرب ثم استطرد إلى ذكر الوشاة ،ثم خرج إلى الغرض الأساسي للقصيدة وهو مدح سيد الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والاعتذار إليه ،وطلب العفو منه ،ثم اتجه إلى مدح أصحابه المهاجرين.

دور الناقة في الشعر الجاهلي وأسباب وصفها:

تعتبر الناقة عند العربي في العصر الجاهلي من مكملات شخصيته، وامتداداً لوجوده، فهي المرافق لحله وترحاله، وهي رفيقة الدرب، وصديقة الألم والعذاب والفرح والسعادة، لم تغب عن أبياته الشعرية في أغلب قصائد الشعر الجاهلي أيا كان غرض القصيدة.

كما كانت وسيلته للبحث عن الرزق، والبحث عن الحبيبة، فهي وسيلة في الرحلة والتنقل من مكان إلى مكان، مما جعلها تحضر بقوة في الشعر. ومن أبرز أدوارها:

- **رفيقة الشاعر في ترحاله ومساعده في تجاوز الصحاري القاحلة.**
- **-ظهرت في الشعر كمصدر للحياة والبقاء، في حالات هروبه أو البحث عن الممدوح.**
- **رمز للصبر والتحمل والقوة، تتحمل معه المشاق كما يتحمل الشاعر معاناة الحياة.**
- **عنصر فني في الوصف والتشبيه، وقد أبدع الشعراء في تصوير الناقة وتشبيهها بالظباء أو الخيول. وكان وصفها يضفي على القصيدة طابعا حيث تتداخل صورها مع وصف الرحلة والبيئة الصحراوية.**
- **دورها في الفخر والتفاخر: كثيراً ما افتخر الشاعر بناقته، باعتبارها دليلاً على قوته وعزته، فهي التي تحمله إلى ميادين المعارك أو مضارب الأحبة.**
- **في بعض الأحيان كانت تذكر كرمز للنجاة من الأعداء أو الوصول إلى الأحبة بعد سفر طويل.**
- **»والناقة هي الأم الرؤوم للبدوي سفينة صحرائه ومركبه إلى آماله الضخام في مراعي الجزيرة، أو عند الملوك والعظماء، تصبر على الجدب والجفاف حتى تحمله إلى الخصب، والمراعي، والأمواه، وتمده في رحلاته الطويلة وسط القفار والبيد بطعامه إن جاع ، وشرابه إن عطش ،وسكنه إن كان في حاجة إلى إيواء.»[14]**

أسباب وصف الناقة في الشعر الجاهلي:

لم يكن وصف الناقة في الشعر الجاهلي مجرد عنصر تقليدي، بل كانت له أسباب فنية ودلالية متعددة منها:

ارتباط الناقة بحياة الشاعر:

كانت الناقة جزءاً من حياة الشاعر اليومية، فكان من الطبيعي أن يصفها ويتغنى بصفاتها.

تقدم تمهيد للموضوع الرئيس للقصيدة:

في كثير من القصائد، يبدأ الشاعر بوصف الناقة ثم ينتقل إلى الفخر أو المدح أو الغزل.

إبراز مهارة الشاعر في التصوير والوصف:

- كان وصف الناقة ميداناً يتنافس فيه الشعراء لإظهار قدرتهم على التصوير والتشبيه والاستعارة ويظهر ذلك عن امري القيس، وطرفة بن العبد، ولبيد بن ربيعة، وعنترة ابن شداد والأعشى، أدى ذلك إلى ظهور أوصاف دقيقة لأنواع النوق، مثل الناقة السريعة أو القوية أو التي تتحمل العطش.

التعبير عن المشاعر والانفعالات:

استخدم الشعراء وصف الناقة للتعبير عن مشاعرهم، مثل الشوق والحزن والاعتزاز بالنفس. وكان تصوير الناقة وهي تتعب في الطريق يعكس مشقة الشاعر ومعاناته.

-ترسيخ القيم الجاهلية:

عكست الناقة قيم البداوة مثل الكرم والعزة والشجاعة، حيث كان امتلاك ناقة قوية رمزاً للمكانة الاجتماعية.

الوصف الحسي للناقة:

«حيث استرعت أوصاف الناقة الحسية الشاعر أكثر مما استدعتها صفاتها المعنوية «(15) والخلاصة أن وصف الناقة ظل عنصراً أساسياً في الشعر الجاهلي، ليس فقط كموضوع تقليدي، بل أداة فنية تعكس حياة الشاعر، وتساعد في بناء القصيدة وتقديم الصور الجمالية التي تثري النصوص الشعرية.

البناء العام للقصيدة وانتقالاتها:

إن بناء القصيدة العربية الكلاسيكية تستلزم في البداية استهلالاً يشد قارئها أوسامعها إلى موضوعها، وليس هناك أفضل من الغزل والبكاء على الأطلال موضوعاً يشد القاري ء أو السامع العربي، ومن هنا جاءت ضرورة البدء بالغزل عند كعب ابن زهير، ثم تخلص إلى وصف الناقة ثم مدح الرسول «16) .»ﷺ)

والقاري ء لقصيدة كعب يجدها قد جمعت أغراضاً متعددة، ويمكن أن نقسم الموضوعات التي اشتملت عليها القصيدة على النحو التالي:

البدء بالنسيب: في الأبيات من 13-1

وصف الناقة: في الأبيات من 34-14

ذكر الوشاة: في الأبيات من 38-35

اعتذار للنبي ﷺ في الأبيات من44-39

مدح النبي ﷺ في الأبيات من 59-45

مدح الصحابة: في الأبيات من 66-60

مدخل: وقد جاءت القصيدة في الديوان على النحو التالي: (17)

بانَـت سُـعادُ فَقَلبـي اليَـومَ مَتبـولُ ... مُتَيَّـمٌ إِثرَهـا لَـم يُجـزَ مَكبـولُ

وَمـا سُـعادُ غَـداةَ البَيـنِ إِذ رَحَلـوا ... إِلّا أَغَـنُّ غَضيـضُ الطَـرفِ مَكحـولُ

هَيفـاءُ مُقبِلَـةً عَجـزاءُ مُدبِـرَةً ... لا يُشـتَكى قِـصَرٌ مِنهـا وَلا طـولُ

تَجلـو عَـوارِضَ ذي ظَلَـمٍ إِذا اِبتَسَمَـت ... كَأَنَّـهُ مُنهَـلٌ بِـالراحِ مَعلـولُ

شُـجَّت بِـذي شَـبَمٍ مِـن مـاءِ مَحنِيَـةٍ ... صافٍ بِأَبطَحَ أَضحى وَهُـوَ مَشمـولُ

تجلـو الرِيـاحُ القَـذى عَنُـه وَأَفرَطَـهُ ... مِـن صَـوبِ سـارِيَةٍ بيـضٍ يَعاليـلُ

ياويحهـا خُلَّـةً لَـو أَنَّهـا صَدَقَـت ... ماوعـدت أَو لَـو أَنَّ النُصـحَ مَقبـولُ

لَكِنَّهـا خُلَّـةٌ قَـد سيـطَ مِـن دَمِهـا ... فَجـعٌ وَوَلَـعٌ وَإِخـلافٌ وَتَبديـلُ

فَـما تَـدومُ عَلـى حـالٍ تَكـونُ بِهـا ... كَمـا تَلَـوَّنُ فـي أَثوابِهـا الغـولُ

وَمـا تَمَسَّـكُ بِالوَصـلِ الَّـذي زَعَمَـت ... إِلّا كَمـا تُمسِـكُ المـاءَ الغَرابيـلُ

كَانَـت مَواعيـدُ عُرقـوبٍ لَهـا مَثَـلاً ... وَمـا مَواعيـدُهـا إِلّا الأَباطيـلُ

أَرجـو وَآمُـلُ أَن يعْجلـن في أَبـدٍ ... وَمـا لهـنَّ طـوال الدّهـر تعْجيـلُ

فَـلا يَغُرَّنَـكَ مـا مَنَّـت وَمـا وَعَـدَت ... إِنَّ الأَمانِـيَ وَالأَحـلامَ تَضليـلُ

أَمسَـت سُعـادُ بِـأَرضٍ لا يُبَلِّغُهـا ... إِلّا العِتـاقُ النَجيبـاتُ المَراسيـلُ

وَلَـن يُبَلِّغهـا إِلا عُـذافِـرة ... فيهـا عَـلى الأَيـنِ إِرقـالٌ وَتَبغيـلُ

مِـن كُلِّ نَضّاخَـةِ الذِفـرى إِذا عَرِقَـت ... عُرضَتُهـا طامِـسُ الأَعـلامِ مَجهـولُ

تَرمـي الغُيـوبَ بِعَينَـي مُفـرَدٍ لَهَـقٍ ... إِذا تَوَقَـدَتِ الحُـزّانُ وَالميـلُ

ضَـخمٌ مُقَلَّدُهـا فَعَـمٌ مُقَـيَّدُها ... في خَلقِهاعَـن بَنـاتِ الفَحـلِ تَفضيـلُ

غَلباء، وجْنـاء، عُلكـوم مُذكـرة ... في دفهـا سَـعة، قُدامهـا ميـل

وجلدهـا مـن أَطُـوم مُـا يؤيسـه ... طلـح بضاحيـة المتنين،مَهـزول

حَـرفٌ أَخوهـا أَبوهـا مِـن مُهَجَّنَـةٍ ... وَعَمُّهـا خَالُهـا قَـوداءُ شِمليـلُ

يَمـشي القُـرادُ عَلَيهـا ثُـمَّ يُزلِقُـهُ ... مِنهـا لَبـانٌ وَأَقـرابٌ زَهاليـلُ

عَيرانَـةٌ قُذِفَـت في اللَحـمِ عَـن عُـرُضٍ ... مِرفَقُهـا عَـن بَنـاتِ الـزورِ مَفتـولُ

كَأَنَّ مـا فـاتَ عَينَيهـا وَمَذبَحَهـا ... مِـن خَطمِهـا وَمِـن اللَحيَيـنِ بَرطيـلُ

تَمُـرُّ مِثـلَ عَسـيبِ النَخـلِ ذا خُصَـلٍ ... في غـارِزٍ لَـم تَخَوَّنَـهُ الأَحاليـلُ

قَنـواءُ في حُرَّتَـيها لِلبَصـيرِ بِهـا ... عِتـقٌ مُبيـنٌ وَفي الخَدَّيـنِ تَسهيـلُ

تَخـدي عَـلى يَـسَراتٍ وَهـيَ لاحِقَـةٌ ... ذَوابِـلٌ وَقعُهُـنَّ الأَرضَ تَحليـلُ

سُـمرُ العُجاياتِ يَترُكـنَ الحَـصى زِيَمـاً ... لَـم يَقِهِـنَّ رُؤوسَ الأُكُـمِ تَنعيـلُ

يَومـاً يَظَـلُّ بِـهِ الحَربـاءُ مُصطَخِمـاً ... كَـأَنَّ ضاحِيَـهُ بِالنـارِ مَملـولُ

يـوم يظـلُّ حـداب الأرض يرفعهـا ... مـن اللّوامـع تخليـط وتزييـل

كَأَنَّ أَوبَ ذِراعَيها وَقَد عَرِقَت ... وَقَد تَلَفَّعَ بِالقورِ العَساقيلُ
وَقالَ لِلقَومِ حادِيهِم وَقَد جَعَلَت ... وُرقُ الجَنادِبِ يَركُضنَ الحَصى قيلوا
شَدَّ النهارُ ذِراعاً عَيطَلٍ نَصَفٍ ... قامَت فَجاوَبَها نُكدٌ مَثاكيلُ
نَوّاحَةٌ رَخوَةُ الضَبعَينِ لَيسَ لَها ... لَمّا نَعى بِكرَها الناعونَ مَعقولُ
تَفري اللِبانَ بِكَفَّيها وَمِدرَعِها ... مُشَقَّقٌ عَن تَراقيها رَعابيلُ
يَسعى الوُشاةُ بِجَنبَيها وَقَولُهُم ... إِنَّكَ يا بنَ أَبي سُلمى لَمَقتولُ
وَقالَ كُلُّ خَليلٍ كُنتُ آمُلُهُ ... لا أُلفِيَنَّكَ إِنّي عَنكَ مَشغولُ
فَقُلتُ خَلّوا طَريقي لا أَبا لَكُمُ ... فَكُلُّ ما قَدَّرَ الرَحمَنُ مَفعولُ
كُلُ اِبنِ أُنثى وَإِن طالَت سَلامَتُهُ ... يَوماً عَلى آلَةٍ حَدباءَ مَحمولُ
أُنبِئتُ أَنَّ رَسولَ اللَهِ أَوعَدَني ... وَالعَفوُ عِندَ رَسولِ اللَهِ مَأمولُ
مَهلاً هَداكَ الَّذي أَعطاكَ نافِلَةَ ... القُرآنِ فيها مَواعيظٌ وَتَفصيلُ
لا تَأخُذَنّي بِأَقوالِ الوُشاةِ وَلَم ... أُذنِب وَلَو كَثُرَت عَنّي الأَقاويلُ
لَقَد أَقومُ مَقاماً لَو يَقومُ بِهِ ... أَرى وَأَسمَعُ ما لَو يَسمَعُ الفيلُ
لَظَلَّ يُرعَدُ إِلّا أَن يَكونَ لَهُ ... مِنَ الرَسولِ بِإِذنِ اللَهِ تَنويلُ
حَتّى وَضَعتُ يَميني لا أُنازِعُهُ ... في كَفِّ ذي نَقِماتٍ قيلُهُ القيلُ
لَذاكَ أَهيَبُ عِندي إِذ أُكَلِّمُهُ ... وَقيلَ إِنَّكَ مَسبورٌ وَمَسؤولُ
مِن ضَيغَمٍ مِن ضِراءَ الأُسدِ مُخدِرَةً ... بِبَطنِ عَثَّرَ غيلٌ دونَهُ غيلُ
يَغدو فَيَلحَمُ ضِرغامَينِ عَيشُهُما ... لَحمٌ مِنَ القَومِ مَعفورٌ خَراذيلُ
إِذا يُساوِرُ قِرناً لا يَحِلُّ لَهُ ... أَن يَترُكَ القِرنَ إِلّا وَهُوَ مَفلولُ
مِنهُ تَظَلُّ حَميرُ الوَحشِ ضامِرَةً ... وَلا تُمَشّي بِواديهِ الأَراجيلُ
وَلا يَزالُ بِوادِيهِ أَخو ثِقَةٍ ... مُطَرَّحُ البَزِّ وَالدَرسانِ مَأكولُ
إِنَّ الرَسولَ لَسَيفٌ يُستَضاءُ بِهِ ... مُهَنَّدٌ مِن سُيوفِ اللَهِ مَسلولُ
في عُصبَةٍ مِن قُرَيشٍ قالَ قائِلُهُم ... بِبَطنِ مَكَّةَ لَمّا أَسلَموا زولوا
زالوا فَما زالَ أَنكاسٌ وَلا كُشُفٌ ... عِندَ اللِقاءِ وَلا ميلٌ مَعازيلُ
شُمُّ العَرانينِ أَبطالٌ لَبوسُهُمُ ... مِن نَسجِ داوُدَ في الهَيجا سَرابيلُ
بيضٌ سَوابِغُ قَد شُكَّت لَها حَلَقٌ ... كَأَنَّها حَلَقُ القَفعاءِ مَجدولُ
لا يَفرَحونَ إِذا نالَت رِماحُهُمُ ... قَوماً وَلَيسوا مَجازيعاً إِذا نيلوا
يَمشونَ مَشيَ الجِمالِ الزُهرِ يَعصِمُهُم ... ضَربٌ إِذا عَرَّدَ السودُ التَنابيلُ
لا يَقَعُ الطَعنُ إِلّا في نُحورِهِمُ ... ما إِن لَهُم عَن حِياضِ المَوتِ تَهليلُ

وتقع القصيدة في ستة وستين بيتاً، قصيدة لامية من البحر البسيط، تعددت الأغراض فيها، إلا أنها تضم وحدة نفسية وشعورية واحدة، كما ظهرت براعة كعب في الانتقال من كل غرض إلى الغرض الذي يليه

«ويلح في وصف سعاد ويشبهها بالظبي، ويشبه ريقها بالخمر متأثراً بأبيه في نفس القصيدة، كما تأثر في إخلاف صاحبته لوعدها ،ويخرج من ذلك إلى وصف ناقته مستلهماً ما نظمه أبوه في هذا الموضوع من قبل ،ومازال ينعت ناقته فيصور خوفه وفزعه من رسول الله 18)» ﷺ)

وهو ينتقل من الغزل إلى وصف الناقة في أبيات تربط بين الغرضين:

أَمسَت سُعادُ بِأَرضٍ لا يُبَلِّغُها إِلّا العِتاقُ النَجيباتُ المَراسيلُ

وَلَـــــــــن يُبَلِّغها إِلّا عُذافِرَةٌ فيها عَلـــى الأَينِ إِرقالٌ وَتَبغيلُ

وينتقل من وصف الناقة إلى الاعتذار للرسول ﷺ بقوله:

يَسعى الوُشاةُ بِجَنبَيها وَقَولُهُم إِنَّكَ يَا بنَ أَبي سُلمى لَمَقتولُ

ويستمر الشاعر في حسن تخلصه والانتقال من غرض لآخر في بقية أجزاء القصيدة في بناء محكم بانتقالات محكمة، معتمداً على لغة القصيدة القوية، ومعانيها العميقة، والتصوير الفني الرائع.

-إذا عدنا للغرض الأساسي للبحث وهو وصف الناقة من خلال الأبيات نجد أن هناك علاقة بين الوصف والموضوع الأساسي للقصيدة يتضح من خلال ما يأتي:

وصف الناقة في القصيدة ليس مجرد استهلال تقليدي، بل يرتبط نفسياً ودلالياً بالقصيدة كلها، فهو يمهد لاعتذار الشاعر ومدحه للنبي ﷺ، دراسة الوصف تكشف عن البنية الفنية للقصيدة، وكيفية الانتقال من المقدمة الوصفية إلى المدح بسلاسة.

يبرز وصف الناقة تفاصيل حياة الصحراء وأساليب السفر، مما يعطي القارئ تصوراً أعمق عن بيئة الشعر الجاهلي والإسلامي.

دراسة نقدية تحليلية لوصف الناقة في القصيدة:

يبدأ كعب الجزء الخاص بالوصف والحكمة، وانتقل الشاعر بعد ذكر المرأة وما خلفه رحيلها عنه من ألم ولوعة وشوق إلى وصف الناقة على عادة الشعراء القدامى، إذ لهم بالذوق شأن كبير في وصف سيرهن وحركتهن، ووصف المسافات التي تقطعها الناقة، فيدعي أن سعاد سافرت إلى أرض بعيدة نائية لا يصلها إلا من له ناقة قوية كريمة الأصل ، ويبدأ بوصف هذه الناقة حتى لا يكاد يعجز في وصفها واشتمل الوصف على واحد وعشرين بيت فيقول :

أمْسَتْ سُعادُ بِأرضٍ لايُبَلِّغُها إلاَ العِتاقُ النَّجيباتُ المَرَاسِيل [19]

أمست: دخلت في المساء، لايبلغها: لايوصل إليها. العتاق: جمع عتيقة وهي الكريمة من الخيل أو الإبل، والمراد به هنا النوق بدليل قوله: بعد ذلك النجينات المراسيل.

النجيبات: جمع نجيبة والمذكر منه نجيب وجمع الاثنين: بجانب الإبل: خيارها.المراسيل : جمع مرسال وهي الناقة السريعة النشيطة الحقيقة رفع اليدين في السير [20]

المعنى أن هذه المرأة الموصوفة صارت بأرض لابلغها إلا الإبل التي هذه صفتها [21]. الكرام الأصول، السريعات السهلة اليدين في السير.

ولَـنْ يُبَلِّغَهـــــــــا إلاّ عُذافِـرَةٌ لهـا عَـلَى الأيْـنِ إرْقـالٌ وتَبْغيـلُ [22]
مِـنْ كُلِّ نَضَّاخَـةِ الذِّفْـرَى إذا عَرِقَـتْ عُرْضَتُهـا طامِـسُ الأعْـلامِ مَجْهـولُ

وفي هذيـن البيتـين وصـف الناقـة بأفضـل الصفـات وأجملهـا، عذافـرة أي صلبـة عظيمـة، تجـوب الصحـراء بـكل قـوة ونشـاط ولاثنيهـا عـن ذلـك أي حـر أو شـدة، (والنضاخـة السـائلة أي اهتمامهـا ومقدرتهـا ويظهـر ماتحـت أذن الناقـة مماييـلي الرقبـة المختفـي الأعـلام الإشـارة إلى الطريـق) [23]وهـذا البيـت تأكيـد لمـا قبلـه مـن أن هـذه الأرض لا يبلغهـا إلا ناقـة إذا أعيـت وكلـت مـن كـثرة السـير جـاء منهـا على التعب هذان النوعان، والتبغيل كأنه مشبه بسير البغال لشدته [24]

تَرْمِـي الغُيـوبَ بِعَيْنَـيْ مُفْـرَدٍ لَهِـقٍ إذا تَوَقَّـدَتِ الحَـزَّازُ والميـلُ [25]
ضَخْـمٌ مُقَلَّدُهـا فَعْـمٌ مُقَيَّدُهـا في خَلْقِهـا عَـنْ بَنـاتِ الفَحْـلِ تَفْضيـلُ
غَلْبـاءُ وَجْنـاءُ عَلْكـومٌ مُذَكَّـرَةٌ في دَفْهـا سَـعَةٌ قُدَّامَهـا مِيـلُ

المفرد أراد به الثور الوحشي لهق: شديد البياض الحزان: الواحد حزن: ما غلظ من الأرض
الميل: ما تراكم منه مال من الرمل: المقلد: موضع القلادة من العنق المقيد موضع القيد الرسغ
بنات: الفحل النوق [26]. المقد موضع القلادة، والمراد أنها غليظة الرقبة
الغلباء: الغليظة، الوجناء: عظيمة الوجنتين، العلكوم : الضخمة ، مذكرة تشبه المذكر الدف: الجنب . قدامها ميل: أي طويلة العنق [27].

وجِلْدُهـا مِـنْ أُطـومٍ لايُؤَيِّسُـهُ طَلْـحٌ بضَاحِيَـةِ المَتْنَـيْنِ مَهْـزولُ [28]
حَـرْفٌ أخوهـا أبوهـا مِـن مُهَجَّنَـةٍ وعَمُّهـا خالُهـا قَـوْداءُ شـمليلُ
يَمْـشي القُـرادُ عَلَيْهـا ثُـمَّ يُزْلِقُـهُ مِنْهـا لِبـانٌ وأقْـرابٌ زَهالِيـلُ

الأطـوم قيـل إنهـا سـلحفاة بحريـة وقيـل سـمكة غليظـة الجلـد، يؤيسـه: يؤثـر فيـه. الطلـح: القراد ضاحيـة المتنـين: مـا بـرز مـن للشـمس مـن ظهرهـا الحـرف: الناقـة الضامـرة. المهجنـة: الكريمـة. قـوداء طويلـة العنـق. الشـمليل: الخفيفـة القـراد: دويبـة تتعلـق بالبعـير وغيـره وهـي كالقمـل للإنسـان. اللبـان: الصدر.الأقـراب : الخـواصر .الزهاليـل : الواحـد زهلـول الملسـاء[29].

يصـف الشـاعر جلدهـا بأنـه أملـس لسـمنه، فـلا تقـف عليـه الحـشرات مثـل القـراد، ووصـف الناقـة بأنهـا كريمـة الأصـل، طويلـة العنـق الخفيفـة، وذلـك تصويـر غايـة في الابـداع والوصـف. وقولـه: (أخوهـا أبوهـا) (عمهـا خالهـا) يعنـي أن أخاهـا مثـل أبيهـا، وعمهـا مثـل خالهـا في الكـرم، لأنهـا مـن الإبـل الكـرام، وإن حمـل الـكلام عـلى ظاهـره. [30]

يَرانَـةٌ قُذِفَـتْ في اللحـمِ عَـنْ عُـرُضٍ مِرْفَقُهـا عَـنْ بَنـاتِ الـزُّورِ مَفْتـولُ [31]
كأنَّ مافـاتَ عَيْنَيْهـا ومَذْبَحَهـا مِـنْ خَطْمِهـا ومِـن اللَّحْيَـيْنِ بِرْطيـلُ
تَمُـرُّ مِثْـلَ عَسـيبِ النَّخْـلِ ذا خُصَـلٍ في غـارزٍ لَـمْ تُخَوِّنْـهُ الأحاليـلُ

عيرانـة : صلبـة كالعـير وقولـه عـن عـرض : أي رميـت باللحـم في أعراضهـا ، نبـات الـزور : العضلتـان ،وفي الجمهـرة (صلـوع الـزور) فـات ، تقـدم , الخطـم ، مقـدم الأنـف ، البرطيـل : الحديـدة الطويلـة أو الحجـر الطويـل ، عسـيب النخـل : الجريـدة ، شـبه بهـا ذنـب الناقـة . الغـارز: الـضرع. تخونـه: تنقصـه، الأحاليـل: الواحـد إحليـل: مخـرج اللـبن مـن الثـدي [32]

المفتول المدمج المحكم (33) وصفها بأنها قذفت باللحم: يعني لم تحلب، فهي تامة الخلق، لم ينقصها الحلب أو اللبن، تمرذنبا مثل عسيب النخل ذا خصل ويعني أنه قد يبس لبنها، وإذا كانت الناقة حائلا لا تحلب كانت أقوى لها على السير.

قَنْـواءَ في حَرَّتَيْهـا لِلْبَصـيرِ بِهـا ... عَتَـقٌ مُبـينٌ وفي الخَدَّيْـنِ تَسْـهيلُ [34]

تُخْـدِي عَـلَى يَـسَراتٍ وهْـيَ لاحِقَـةٌ ... ذَوابِـلٌ وقعهـن الأرضَ تَحْليـلُ

سُـمْرُ العَجاياتِ يَتْرُكْـنَ الحَـصَى زِيَمـاً ... لم يَقِهِـنَّ رُؤوسَ الأُكْـمِ تَنْعيـلُ

قنـواء: في أنفهـا حـدب، الحرتـان: الأذنـان، العتـق: الكـرم، اليـسرات: القوائـم، الذوابـل: اليابسـة، الضامـر التحليـل : القليـل . والمـراد وصـف قوائمهـا بالضمـور والذبـول ليكـون ذلـك أعـون لهـا عـلى الجـري العجايـات: عصـب قوائـم الإبـل، الزيـم: المتفرقـة. أراد أنهـن لا يحتجـن التنعيـل لأنهـم غـلاظ [35].

يقـول: إذا نظـر الناظـر إلى أذنيهـا وسـهولة خديهـا بـان لـه عتقهـا، ويصـف قوائمهـا بقلـة اللحـم، وإذا كانـت قليلـة اللحـم لم تكـن رهلـة ولا مسـترخية. وقولـه: (وقعهـن الأرض تحليـل) يـدل عـلى سرعـة رفـع قوائمهـا في السـير والتحليـل مـن تحلـة القسـم، أي قليـل، كـما يحلـف الإنسـان عـلى الـشيء، فيفعـل منـه اليسـير يحلـل بـه قسـمه. [36]

كأنَّ أوْبَ ذِراعَيْهـا وقـد عَرِقَـتْ ... وقـد تَلَفَّـعَ بالقُـورِ العسـاقيلُ [37]

يَوْمـاً يَظَـلُّ بـه الحِرْبـاءُ مُصْطَخِـماً ... كأنّ ضاحيَـه بالنـــــــارِ مملـولُ

و قـالَ للقَـوْمِ حاديهـم وقـد جَعَلَـتْ ... وُرْقُ الجَنَـادِبِ يركُضْـنَ الحـصَى : قِيلُوا

ورد في صـدر البيـت «إذا» مـكان» قـد «، أوب ذراعيهـا: رجـع يديهـا وسرعـة حركتهـا، تلفـع: النحـف، القـور: كل موضـع مرتفـع ، العسـاقيل : الواحـد عسـقول وهـو السـراب ،الـورق : الواحـد أورق :الأخـضر المائـل إلى السـواد ،يركضـن : يضربـن بقوائمهـن ، قيلـوا : اسـتريحوا في القائلـة ،أي وسـط النهـار أو منتصفـه [38] وصـف رجـوع ذراعيهـا في السـير إذا عرقـت وقـت الهاجـرة في الموضـع المرتفـع مـن الأرض ويقصـد بالقـور العسـاقيل أي صـارت سرابـا للقـور بمنزلـة اللفـاع: اللثـام، وذلـك في وقـت الهاجـرة [39]

توضـح الأبيـات دقـة وصـف كعـب بـن زهـير لناقتـه في سرعـة وحركـة ذراعيهـا وتخطـي المسـافات والأماكـن المرتفعـة، وهـذا اليـوم العصيـب مـع شـدة حـرارة الشـمس، كانـت الناقـة صامـدة تـضرب بقـوة عـلى الحـصى مثـل قفـز الجنـادب فيتطايـر مـن مواضعـه، في تشـبيه بليـغ وصـورة خياليـة رائعـة.

شَـدَّ النَّهـار ذِراعـا عَيْطَـلَ نَصِـفٍ ... قامَـتْ فَجاوَبَهـا نُكْـدٌ مَثاكِيـلُ [40]

نَوَّاحَـة رخْـوَةُ الضَّبْعَـيْنِ لَيْـس لَهـا ... لَـمَّا نَعَـى بِكْرَهـا النَّاعـونَ مَعْقـولُ

تَفْـرِي اللُّبـانَ بِكَفَّيْهـا ومِدْرَعُهـا ... مُشَـقَّقٌ عَـنْ تَراقيهـا رَعابيـلُ

شـد النهـار: أي وقـت ارتفاعـه، العيطـل: الطويلـة، النصـف: النائحـة، النكـد: التـي لا يصيبهـا خـير، يقـول كأن يديهـا في وقـت الهاجـرة، وهـو الوقـت الـذي نـكل فيـه ذوات الأربـع، ذراعـا عيطـل: أي ذراعـا امـرأة طويلـة حسـنة، وفعلهـا نصـف ليكـون أقـوى لهـا عـلى ترجيـع يديهـا [41]

رخـوة الضبعـين: شـديدة الحركـة، بكرهـا: أول ولدهـا، تفـري: تشـق، اللبـان: الصـدر، المـدرع:

القميص، الرعابيل الواحد رعبول: القطعة المتخرقة. أراد أن هذه المرأة تخدش نحرها وصدرها وشق مدرعها لما هلك ولدها [42]

يظهرابداع كعب بن زهير في هذه الأبيات، ومدى تخيره للألفاظ المناسبة للوصف، وتأثره بالبيئة الجاهلية، وتشبيه الناقة بالمرأة النائحة التي فقدت بكرها، بذراعيها الطويلتين، منتصف النهار تشق الصدر والقميص وتظهر عظم حزنها بفقد ولدها.

الوصف والصورة الفنية:

قبل الحديث عن الوصف والصورة الفنية في وصف الناقة يحسن تعريف مفهوم الوصف والصورة ثم الحديث عن المقصود بموضوع المبحث.

أولا: الصورة لغة:

تكون في الشكل، والجمع صور، وصوره الله صورة حسنة فتصور، وتصورت الشيء: توهمت صورته فتصور لي والتصاوير التماثيل، والصورة في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته ، يقال : صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته وصورة الأمر كذا أي صفته [43] وللصورة دور في البيان و التأثير والإقناع للمتلقي مما يكسبها القدرة الحجاجية . وتتولد الصورة من الخيال الذي يولد مجموعة من الألوان والخيوط التي تشكل بنية جديدة مختلفة وهذا التشكل قائم على علاقة التشابه بين مفردات كانت متباعدة، ولكنها بفعل الخيال تتمازج لتخرج في شكل جديد، فيصبح الملقي مؤلفا والمتلقي محللا لذلك المشهد التصويري[44] والصورة أيضا مستمدة من عالم المخاطب الحسي أو الفكري الثقافي، لذا نجدها مؤثرة فيه أيا كان توجهه إما لتثبيت فكرة أو لاقتلاعها وإبدالها بما يناقضها، لذا فهي واحدة من العناصر الخطابية التي يستند إليها في عملية التخاطب، من أجل ذلك حظيت بعناية البلاغيين في الدعوة إلى مراعاتها وإدراكها لمعرفة سياق التخاطب، إذ لا خطاب - (45) الوصف: لغة هوذكرالشيء بما فيه من أحوال وهيئات.

ثانيا : اصطلاحا:

هو فن من فنون الاتصال اللغوي الذي يستخدم لتصوير المشاهد والشخصيات.

فالوصف أن يقوم الشاعر بوصف دقيق وبشكل مفصل وبوصف البيئة المحيطة وما تحويه من ظواهر الطبيعة الجمالية.

مثال لذلك: وصف الناقة في قصيدة (بانت سعاد) جعل كعب لها صورة واضحة متكاملة ترسم بريشة فنان، نجده وافق غيره من الشعراء في ذلك واستخدم صور جديدة في مضمون قصيدته، فاحتل وصف الناقة ثلث القصيدة، لعل وصف الناقة وسيلة للوصول إلى غايته والاعتذار من النبي ﷺ.

يظهر حب كعب لناقته الذي دفعه للمبالغة في وصفه او الاستدلال بالضخامة على قوتها وصلابتها وشدة سرعتها من وصف جسد الناقة إلى وصف الرأس: أنفها أقنى وأذناها كريمتان وحراها سهلات، أماء عصب رجليها فقوي وأخفافها قوية صلبة وساقاها طويلتان. ففي قوله:

يَمْشي القُرادُ عَلَيْها ثُمَّ يُزْلِقُهُ مِنْها لِبانٌ وأقْرابٌ زَهالِيلُ[46]

فهذه الصورة مأخوذة من عالم الحيوان فقال: يزلقه كناية عن نعومة الملمس، وقال: في العجز الزهاليل وهي الملس [47] ومن الدلالات الجمالية والبيانية في قوله:

شَدَّ النَّهار ذِراعا عَيْطَلَ نَصِفٍ قامَتْ فَجاوَبَها نُكْدٌ مَثاكِيلُ

ممثلة في الاستعارة المكنية شبه النهار بالإنسان الذي يشد الشيء فحذف المشبه به وأبقى على شيء من لوازمه وهو الفعل شد. والكناية عن شدة الحزن في قوله :(نكد مثاكيل)

أكثر الشاعر في وصفه من الصورة البيانية الكناية من ذلك قوله: العتاق، كناية عن الكرم والأصل والنسب (النجيبات) كناية عن الذكاء، ضخم مقيدها كناية عن قوة جسدها وضخامته، وفي لفظ غلباء وعلكوم الصورة البيانية في تشبيه جسدها ورقبتها الغليظة بجسد المذكر في ضخامته وقوته، (المراسيل) كناية عن السرعة ،(عذافرة) كناية العظيمة والشديدة من الإبل (الأين) كناية عن التعب والإرهاق.

(الإرقال والتبغيل) فيه وصف ناقته بنوع من المشي السريع مع الخفة وهي من صفات الناقة عند العرب، (حرف) وصف الناقة أنها ضامرة :(يمشي القراد) وصف وكناية عن نعومة جسدها، (دون الخدين تسهيل) كناية عن نعومة خدها ولمعانه،(عسيب النخل) تتضح صورة التشبيه في تشبيه ذنبها بعسيب النخل . ويظهر الأسلوب البياني في تشبيه أوب ذراعيها بذراعي امرأة تنوح وتلطم بفقد بكرها وفي حركة ذراعيها وسرعتها الكناية عن شدة اللوعة والحزن، (ترمي الغيوم) كناية عن السرعة والقوة (يوما يظل به الحرباء مصطخماً) كناية عن شدة حرارة الشمس، (يركضن الحصى زيما) كناية عن السرعة والقوة.

الصورة الجمالية البيانية في تشبيهه الحصى وضرب الناقة عليه مع السرعة مثل ورق الجنادب.

يعكس وصف جمالي آخر للناقة سمر العجايات كعب وقوائم الإبل ووصفها بالضمور الذي يساعدها على الجري وأراد أنهن لايتحتجن التنعيل لأنهن غلاظ [48]

مما سبق يتضح مدى تأثر كعب بن زهير بحياة البدوي، هذه الصورة يتعادها البدوي في سير حياته قائمة على الحل والترحال فلا يقيم في مكان حتى يظعن عنه ليقيم في آخر للبحث عن الأرض الخصبة والماء الوافر والعيش الرغيد [49]

نلاحظ في وصفه لناقته الرمز [50] والإشارة للدلالة على الشيء، يتطلبان حنكة وذكاء

على اختيار الرمز المناسب، والإشارة الملائمة، لما يراد التعبير عنه، لذا جعل النقاد الرمز والإشارة من البلاغة، وعُدَ الشاعر الذي يحسنهما شاعراً مبرزاً، لأن الشاعر في إشارته ورمزه استطاع أن يأتي باللفظ القليل المشتمل على المعاني الكثيرة، بإيماء إليها أو لمحة تدل عليها[51].

لمحة نقدية عن كعب بن زهير وبناء قصيدته:

يكشف التفضيل السابق للقصيدة على سواها من الأشكال الأخرى عن مسألة هامة أخرى جديرة بالبحث، هي أن القصيدة الجاهلية كادت تكون المقياس الوحيد والأنموذج الأمثل الذي اتخذه النقاد واتبعوه في كلامهم على القصيدة وبنائها من ناحية، وفي أحكامهم على الشعر

والشعراء في مختلف العصور من ناحية أخرى إذ لم يكتف معظم النقاد بتفضيل القصيدة، بل راحوا يدعون إلى الالتزام بمنهج القصيدة الجاهلية. [52]

إن هذا المنهج التقليدي الذي سار عليه كعب بن زهير في القصيدة العربية في العصر الجاهلي من حيث البناء والصور والمعاني الأصيلة ،وسلك في اعتذار ه للرسول ﷺ مسلك النابغة الذبياني (53) فقد بدأ بالغزل ثم انتقل إلى وصف الناقة ومشاق الطريق وقوة الناقة التي أوصلته إلى الممدوح ليحسن الانتقال إلى الاعتذار من الرسول ﷺ طمعا في كرمه وشمائله العربية الأصلية وتصويره لخوفه وفزعه وتنكر الناس له ،ويظهر التأ ثر الحسي بالبيئة في وصف ناقته وبناء قصيدته يشكل أشمل ، فهو كرجال عصره أحب الناقةوالفرس وتعلق بهما، مما يؤكد تأثره ببناء القصيدة الجاهلية من حيث المعني واللفظة والصورة . ويظهر رأي الأصمعي [54] في خروجه عن ما اعتادت عليه العرب من وصف الناقة والخطأ في الصفة في قوله: غليظة ورفيعة وخير النجائب ما يرق مذبحه ويعرض منحره، وذهب أبوهلال العسكري مذهب الأصمعي من خطأ الوصف في قوله: (ضخم مقيدها) لأن النجائب توصف برقة المذبح، ولكن وصفه لها لضخامة خلقها وفيه من المبالغة والتضخيم. ومما عيب عليه وصفه بعظم الذنب وكثرة الهلب، وأفضل منها للركوب أن تكون جداء قصيرة الذنب، وإذا كانت للحلب فشيوع الأذناب الطويلة. ولقد كان في شعره الجاهلي مفاخراً، متوعداً مهدداً، حتى أسلم أخذت نفسه تصفى وأخذ يستشعر معاني الإسلام الروحية، وما عاد إليه من الخلق الفاضل، حتى لنراه في الهجاء نفسه يعلن لهاجيه أن يصفح الصفح الجميل سائقا له لا من الشتم والسباب، بل من الحكم، ما يحاول أن يكف أذاه عنه. [55] ولتتبع بعض جوانب النقد في وصف الناقة في قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير نجدها تشمل عدة محاور نقدية تتعلق بالبنية الفنية، والدلالة، والأسلوب والمقارنة مع التراث الشعري. يمكن تحليلها من خلال الآتي :

1 -الجانب الفني والأسلوبي:

- **التكرار والتقليدية: يرى النقاد أن كعباً لم يخرج كثيراً عن الأسلوب الجاهلي في وصف الناقة، إذ استخدم صورا تقليدية متداولة عند الشعراء السابقين، مثل تصوير الناقة بالقوة والصبر والمشقة في السفر.**
- **التخيل والإبداع: رغم الطابع التقليدي، أضفى كعب في وصفه بعداً شخصياً، حيث لم يكن الوصف مقحماً، بل متصلاً بحالته النفسية، مما جعل الصورة أكثر تأثيراً.**
- **المحسنات البديعية: اعتمد على التشبيه والاستعارة والكناية، لكنه لم يفرط في الزخرفة اللفظية، مما جعل الصورة واضحة وقوية.**

2 -البعد الدلالي الرمزي *الناقة كرمز:

أن الناقة في القصيدة ليست مجرد وسيلة نقل، بل رمز للرحلة والتعب والبحث عن الخلاص، مما يعكس مشاعر كعب الداخلية.

- **الترابط مع تجربة الشاعر: يعكس وصف الناقة حالة الشاعر النفسية، فهو في حال ترحال وخوف، والناقة تعكس معاناته ورحلته نحو الأمان والعفو.**

3 - الإيقاع والتناسب الفني:

- التناسب بين الإيقاع والصورة: استخدم كعب بن زهير بحر البسيط، وهو بحر شعري يساعد في ابراز الوصف الحركي للناقة، مما أعطى الوصف بعداً موسيقياً متناغماً.

- وحدة القصيدة: بعض النقاد يرون أن وصف الناقة جاء منفصلا إلى حد ما عن باقي أجزاء القصيدة، مما يجعله امتداداً للتقاليد الشعرية الجاهلية أكثر من كونه ضرورة سياقية للقصيدة.

4 -مقارنة بأساليب الشعراء الآخرين:

- تشابه مع الوصف الجاهلي: يشبه وصف كعب للناقة أوصاف زهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني وامرئ القيس والأعشى، لكنه كان أكثر تفصيلاً من بعض الشعراء الذين قدموا أوصافاً أكثر دقة وعناية بالتفاصيل.

فعند المقارنة بين كعب بن زهير وأبيه زهير بن سلمى في وصف الناقة نجد كعباً قد وصف الناقة بتفاصيل دقيقة تبرز صلابتها وقوتها وتحملها للمشاق ،وكانت عنده رمزاً لرحلته الداخلية ،واستخدم صوراً حسية تعكس سرعتها وصبرها على الصحراء ،معتمداً على ألفاظ جزلة قوية متأثرة بالأسلوب الجاهلي ،كما أن الناقة لم تكن غايته في حد ذاتها بل كانت وسيلة للانتقال التدريجي للمدح ،أما زهير ابن أبي سلمى معلمه الأول وأستاذه الذى علم كعباً الشعر وفنونه ،عندما وصف زهير الناقة كان دقيقاً متحدثاً عن صفاتها كأنها أشبه بمخلوق أسطوري ،ويتميز بوضوح عباراته وابتعاده عن الغموض ،مستخدماً الوصف ضمن مدحه للملوك مع الاعتماد على الوضوح والحكمة .

أماعن كعب بن زهير وامرئ القيس، فنجد تشابه بينهما في الوصف الدقيق والتفاصيل، لكن أمرؤ القيس لا يعتمد على الناقة كعنصر أساسي، بل كان يستبدلها بالفرس في بعض الأوصاف وكان يركز على سرعتها وقدرتها على اجتياز الصحاري. وبين كعب بن زهير والنابغة الذبياني، نجد النابغة في وصفه يتسم بالواقعية، مع التركيز على الصفات التي تعكس الصبر والقدرة على التحمل، وذلك في إطار المدح أو الاعتذار.

والخلاصة أن وصف الناقة في «بانت سعاد» يظهر قوة كعب بن زهير الشعرية لكنه يحمل ملامح تقليدية واضحة. إلا أن توظيفه للوصف ضمن تجربة ذاتية أعطاه طابعاً خاصاً. يمكن نقده من حيث التقليدية مقابل الإبداع، والرمزية مقابل الواقعية، ومدى ارتباطه بالسياق النفسي للقصيدة.

الخاتمة:

بعد دراسة وتحليل وصف الناقة في بردة كعب بن زهير من الناحية الفنية والدلالية، توصل البحث إلى النتائج التالية:

1. موضوع الناقة قد أثار أكثر من مسألة، وأن المعادل الموضوعي لسعاد بعد أن خذلته وتنكرت له، ناقته التي رافقته في رحلته، فالناقة بشجاعتها وصمودها هي كعب وصفاتها هي صفاته، حتى وصل للإعتذار من النبي ﷺ.
2. الناقة هي الوسيلة وجزء أساس في القصيدة فوصفها ببيئة صحراوية وبرجل تشبع بالعصبية الجاهلية، فكان التلاحم بين الغزل ووصف الناقة والمديح.
3. تخير الألفاظ والأوصاف الدالة على المعاني الكريمة العظيمة القوية لناقته كما وضح من خلال الأبيات، وقد أعتمد الشاعر في تأدية هذه الأوصاف اسلوب الكناية والتشبيه والصور الملائمة لموقف الاستعطاف، فأوصاف الشاعر في قصيدته مرآة صافية لسلوك مجتمعه الذي يستخدم الناقة حيوانا مهما في الحياة الاجتماعية.
4. نجح كعب بن زهير من خلال لغة أصيلة أن ينفذ إلى معاني دقيقة وايحاءات ورموز تمنح المهتم بالشعر وجودته للبحث أكثر والتمتع بهذه الصور الجمالية، والناقة في القصيدة لا تمثل مجرد وسيلة نقل، بل ترمز إلى الصبر والتحمل والمشقة التي عانى منها الشاعر بعد تخوفه من العقاب.
5. يظهر الوصف مدى تأثر كعب ببيئته الصحراوية، حيث كانت الناقة عنصرًا محوريًا في حياة العرب، مما جعله يصفها بدقة متناهية. ورغم أن هذا الأسلوب كان شائعًا في الشعر الجاهلي، إلا أن توظيفه هنا جاء متماشيًا مع التغير الفكري الذي طرأ على الشاعر بعد إسلامه، حيث أصبحت الناقة رمزًا للبحث عن الخلاص والتوبة.
6. أثبت البحث أن وصف الناقة في "البردة" ليس مجرد عنصر زخرفي، بل مكون أساسي في نسيج القصيدة، يعكس حالة الشاعر النفسية، ويؤدي دورًا تمهيديًا مهمًا في توجيه المتلقي نحو المعاني الأعمق للقصيدة. كما أظهر البحث أن كعب بن زهير استخدم مهارات بلاغية متقدمة في تصوير الناقة، مما جعله واحدًا من أبرز شعراء عصره.

الهوامش:

(1) ابـن قتيبـة الشـعر والشـعراء، تحقيـق أحمـد محمـد شـاكر، دار المعـارف، القاهـرة، الجـزء الأول ،1982، ص67

(2) أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق إحسان عباس وبكر عباس 'دار صادر بيروت، لبنان 17 /87، د.ت.

(3) أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ط15، دار المعرفة، بيروت لبنان 1434هـ ص141

(4) ابن قتيبة الشعر والشعراء ص 137

(5) كعب بن زهير، ديوان، حققه علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،1997 ص4

(6) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، ط11، دار المعارف، القاهرة، 1989ص85

(7) محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، مطبعة مدني، القاهرة ،1974 ،1/97

(8) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، مرجع سابق 1/154

(9) السـهيلي، الـروض الأنـف، شرح سـيرة ابـن هشـام، تحقيـق عبـد الرحمـن الوكيـل، دار الكتـب الحديثـة، القاهـرة ،1390، 7/292

(10) ابن كثير، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الفكر، بيروت، 1398، ص4/107

(11) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، مرجع سابق، ص 85

(12) كعب بن زهير، ديوان، حققه وشرحه علي فاعور مع، مرجع سابق، ص60

(13) ابـن حجـة الحمـوي، شرح قصيـدة كعـب بـن زهـير «بانـت سـعاد»، تحقيـق عـلي حسـين البـواب، مكتبـة المعـارف، الريـاض،1985ص 5.

(14) سعيد إسماعيل الشلبي، الأصول الفنية للشعر الجاهلي، مكتبة غريب، القاهرة ،1977، ص 329.

(15) وهب رومية، الرحلة في القصيدة الجاهلية، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979.ص63.

(16) حسن حسين، ثلاثية البردة بردة الرسول، ط14، دار الكتاب القطرية، الدوحة، 1431، ص141.

(17) كعب، ابن زهير، ديوان، علي فاعور، ص 66-60.

(18) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، ص8

(19) - كعب بن زهير، ديوان، حققه وشرحه علي فاعور، مرجع سابق، ص62

(20) ابراهيم محمد قاسم الدمام، الأدب في صدر الإسلام بين الثبات والتطور، مكتبة المتنبي، 2003 م ص210

(21) ابـن حجـة الحمـوي، شرح قصيـدة كعـب بـن زهـير، تحقيـق عـلي حسـين البـواب، الريـاض، مكتبـة المعـارف 1985م ، ص37

(22) كعب بن زهير، ديوان، مرجع سابق ص62

(23) -نفس المرجع

(24) -شرح قصيدة كعب بن زهير، مرجع سابق، ص38

(25) كعب بن زهير، ديوان، مرجع سابق، ص 63

(26) نفس المرجع

(27) شرح قصيـد كعـب بـن زهـير مرجـع سـابق، ص40، انظـر القـرشي، جمهـرة أشـعار العـرب، بـيروت: دار صـادر، د. ت ، ص 283

(28) كعب بن زهير ديوان، مرجع سابق، ص 63
(29) جمهرة أشعار العرب، مرجع سابق، ص 284
(30) شرح قصيدة كعب، مرجع سابق، ص 42
(31) كعب بن زهير، ديوان، مرجع سابق، ص 63
(32) نفس المرجع
(33) التبريزي، شرح قصيدة بانت سعاد، تحقيق كرنكو، دار الكاتب الجديد، بيروت 1981م ص 23
(34) كعب بن زهير، ديوان، مرجع سابق، ص 64
(35) شرح قصيدة كعب بن زهير: مرجع سابق ص47.
(36) كعب بن زهير، ديوان، مرجع سابق ص 64
(37) نفس المرجع
(38) شرح قصيدة كعب بن زهير، مرجع سابق، ص 50 .
(39) كعب بن زهير ديوان، ص 64
(40) المرجع السابق
(41) المرجع السابق ص 65.
(42) ابن منظور لسان العرب،475-4/473
(43) الدسوقي، محمد، البنية التكوينية للصورة الفنية درس تطبيقي في ضوء علم الأسلوب، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع2009 ، ص144
(44) الشهري، عبد الهادي ظاهر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، (ط1)، دار الكتب الجديد، بيروت، لبنان.2003، ص256
(45) يزلقه: يسقط، زهاليل مكان مستوي لإثبات فيه
(46) السكري، الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين، ديوان كعب بن زهير، دار الكتاب المصرية، القاهرة،1950.ص3
(47) ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص 64
(48) سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، ط1، دار الفكر اللبناني، ت. ط 1993مص 138
(49) الرمز في اللغة كل ما أشرت إليه بلفظ أو بأي شيء أشرت إليه، بيد أو بعين اللسان «رمز «
(50) نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ط3، ت. ط1398هـ/1978م ص ،152، وانظر أيضا العمدة في محاسن الشعر وآدابه، الجزء الأول، ابن رشيق، لبنان: دار المعرفة ط1، 1988م ص5
(51) يوسف حسين بكار، بناء القصيدة في النقد العربي القديم، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص 28، د.ت
(52) هو أبو إمامة زياد بن ضباب بن جابربن يربوع بن مره الذبياني
(53) هو أبوسعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي أصمع الباهلي البصري المعروف بالأصمعي 123هـ 216-هـ
(54) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، ط29، دار المعارف1890 ص 88

المصادر والمراجع:

(1) ابـن حجـة الحمـوي، شرح قصيـدة كعـب بـن زهـير، تحقيـق عـلي حسـين البـواب، الريـاض: مكتبـة المعـارف 1406هـ / 1985م

(2) ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، الجزء الأول، ط1، دار المعرفة، لبنان، 1988م.

(3) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، الجزء الأول، دار المعارف، القاهرة، 1982

(4) ابن كثير، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الفكر، بيروت، 1398

(5) ابـن منظـور، لسـان العـرب، تصحيـح أمـين محمـد عبـد الوهـاب ومحمـد الصـادق العبيـدي (ط3)، دار احيـاء الـتراث العـربي، بـيروت، لبنـان .1999

(6) إبراهيم محمد قاسم، الأدب، في صدر الإسلام بين الثبات والتطور، مكتبة المتنبي، الدمام .2003

(7) أبي الفـرج الأصفهـاني، الأغـاني، تحقيـق إحسـان عبـاس وبكـر عبـاس 'الجـزء السـابع عـشر دار صـادر بـيروت، لبنـان، د.ت

(8) أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ط15، دار المعرفة، بيروت لبنان، 1434هـ

(9) التبريزي، شرح قصيدة بانت سعاد، تحقيق كرنكو، دار الكاتب الجديد، بيروت ،1981م

(10) الجمحـي محمـد بـن سـلام، طبقـات فحـول الشـعراء، تحقيـق محمـود شـاكر، الجـزء الأول، مطبعـة مـدني، القاهـرة ،1974

(11) حسن حسين، ثلاثية البردة بردة الرسول، ط14، دار الكتاب القطرية، الدوحة، 1431

(12) سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، ط1، دار الفكر اللبناني، 1993م.

(13) السـكري الإمـام أبي سـعيد الحسـن بـن الحسـين، ديـوان كعـب بـن زهـير، دار الكتـاب المصريـة القاهــرة ،1950

(14) سعيد إسماعيل الشلبي، الأصول الفنية للشعر الجاهلي، مكتبة غريب، القاهرة ،1977

(15) السـهيلي، الـروض الأنـف، شرح سـيرة ابـن هشـام، تحقيـق عبـد الرحمـن الوكيـل، دار الكتـب الحديثـة، القاهــرة ،1390

(16) -16الشـهري، عبـد الهـادي ظاهـر، اسـتراتيجيات الخطـاب مقاربـة لغويـة تداوليـة ط1، دار الكتـب الجديـد، بـيروت، لبنـان، (2003)

(17) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، ط29، دار المعارف 1890.

(18) شوقي ضيف العصر الجاهلي، الطبعة 24، دار المعارف، مصر،2003

(19) قدامـة بـن جعفـر، نقـد الشـعر، تحقيـق محمـد عبـد المنعـم خفاجـي، ط3، دار الكتـب، بـيروت، لبنان، 1398هـ/1978م

(20) القرشي، جمهرة أشعار العرب، دار صادر، بيروت، د. ت.

(21) كعب بن زهير: حققه وشرحه علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،1997.

(22) محمدالدسـوقي، البنيـة التكوينيـة للصـورة الفنيـة درس تطبيقـي في ضـوء علـم الأسـلوب، دار العلـم والإيمـان للنـشر والتوزيـع، (2009)

(23) وهب رومية، الرحلة في القصيدة الجاهلية، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت ،1979.

(24) يوسـف حسـين بـكار، بنـاء القصيـدة في النقـد العـربي القديـم، ط2، دار الأندلـس للطباعـة والنـشر والتوزيـع، بـيروت، د.ت

(25) الصورة الشعرية عند شعراء الصنعة في الجاهلية والإسلام. شبكة الألوكة، www.alukah.net